واستخلاص مراميها ، لأنها تدخل فى حيز المنقولات العقلية والمنقولات الآلية التى لا تستتبع بعدها انقلاباً فى عالم الروح وسرائر الوجدان » (٢٤) . فما الذى أثر فى الحياة الروحية فى البلاد الشرقية إن لم يكن التأثير هو تأثير الآلة وظهور الصناعة وقيام المجتمع الصناعى ؟ .

يقول العقاد : « إن ظواهر المعيشة التى حملها معهم الأوروبيون إلى الشرق العربى قد نشرت معها جواً من الإباحية الفعلية والاستخفاف بالقيود الأخلاقية الموروثة ، فقل الحرج من سماع الآراء الطارئة وتوجيه النقد إلى الشعائر المرعية ، وكان أثر هذا كله فى الحياة الروحية أعمق جداً من كل أثر سرى إلى الضمائر من معارف العلم والصناعة » (٢٥) . وهذا الأثر المصاحب للتلقى يمكن وصفه بمصطلح يستخدمه الصيادلة عن «الأعراض الجانبية » لعقار ما يستمر حتى تنتهى مدة العلاج ، فيعود الجسم إلى توازنه الطبيعى ، فإذا استمرت هذه الأعراض فهذا إما يعنى خللاً فى الجسم أو استمراء واستمراراً لاستخدام غير رشيد للدواء استخداماً يحيل الدواء المفيد إلى سم ضار .

فالعقاد أدرك طبيعة المرحلة التى تمر بها حضارتنا فى مطلع القرن العشرين ، ومقتضى ما يتوجب على العالم القيام به ، فلم يكن مبهوراً ولا هياباً للحضارة الغربية ، كما لم يكن رافضاً